ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The Aesthetics of Color Form in Shihabaddin Al- Tillafari's Poetry (Deceased 675 h) :A Psycho - critical Approach

Asst.Prof.Dr. Faris Yasseen Mohammed Al-Hamdani

Department of Arabic
College of Arts
University of Mosul
Mosul, Iraq

***Keywords*:**
Poetry
Aesthetics
Color
forms

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 25 June 2020
Accepted 15 July 2020
Available online 23 July 2020
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
: E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

The aesthetics of color forms in Al-Tillafari's poetry is a result of the many creative revelations and poetic richness. For him, color is the curd of creativity and he manipulates it to convey the aesthetic suggestions to the receiver for convincing.

The poet has a good knowledge of the suggestiveness of colors and their ability to convey the feelings and emotions the poet experiences through drawing plastic images that the receiver can see. Color is the mirror that reflects the poet's self and a means through which he expresses what he feels, even the subtle details that signify.

Also, the poet makes use of colors to invoke buried memories to add to the poetic text in a way that influences the receiver. To sum it up, color is a vehicle by which the poet expresses his conscious psychological moves. It is a pulse, suggestive energy that allows relaxation and peace of mind.

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.2020.4

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit

جَماليُّة التَشْكِيلُ اللّونِي في شِعْرِ شِهابِ الدّينِ التَّلَّعْفَريّ [١] (ت ٦٧٥هـ)

– مُقارَبَةٌ نَفسيةٌ نقديةٌ –

أ.م.د. فارس ياسين محمد الحمداني/ كلية الآداب/جامعة الموصل

المستخلص :

يُعبِّر التشكيل اللوني في الشعرِ عن حركةِ النفسِ الشعرية وانفعالاتها ، ولكلِّ حالة نفسية لونٌ خاصٌ به يتماشى معها وينسجمُ فيها ، والمؤهلات الفكرية والنفسية للشاعر / المبدع هي التي تنتجُ النصَّ الشعريَّ الثريَّ بالألوان الموظَّفة ؛ لذلك فإن التشكيل الجمالي للون يدعم رؤيا الشاعر للحياة ، فاللونُ نبضٌ وطاقة إيحائية تبعث الانفعال في النفسِ ، وقد تزودهُ بالهدوءِ والاطمئنانِ أو تعمل فيه العكس ؛ لذلك يعود التشكيلُ اللوني على النص الشعري بصبغة جمالية وبقوة تأثير وإيحاء ، ويحملُ الغايةُ المطلوبة

والرسالة المراد توصيلها، كما أنَ الطاقة النفسية للون تدخلُ ضمن التكوين العام للنص ، ويغلف أحيانًا بالرمزِ لأداء الغرض المقصود .

الكلمات المفتاحية: شعر ، جماليات ، ألوان ، أشكال .

المقدِّمة:

يعدُّ اللونُ عنصرًا من عناصر التعبير الفني والكشف المعرفي يسعى لسبر أغوار النفس الإنسانية ويستدرجها إلى عالم الظهور[٢] ، وبذلك يصبحُ للتشكيل الجمالي للون في النصِ الشعري (قدرة إيحائية عالية لما يملكه من بُعد فكريٍّ ونفسيٍّ على المتلقي ، ويلجأ الشاعر أحيانًا إلى لغة تواصل مع المتلقي بشبكة علاقات متجاورة منتجة بلغة تواصلية ، والألوان عنصر مهم فيها لما تحمله من دلالاتٍ سيميائية ، فرمزيةُ الألوانِ ودلالاتها تكمنُ في أنَّها تحملُ طاقاتٍ إيحائيةٍ عميقةٍ تُسهمُ في تفعيلِ الرؤية الفنية لما تسهم بهِ من عمق في الطرح ، كما تسهم في تفعيل مسار القراءة)[٣]، والنفسُ الإنسانية تستوعبُ اللونَ وتدركهُ ، فكان للتشكيلِ اللوني حالة تمثيلية تقرب حدود الأشياء وتنجحُ في توريدِ الأبعاد الدلالية ورصد متطلباتِ الذات الإنسانية ومسمياتها داخل الحقائق مع ضرورة المطابقة لما يلزم من الثبات الإشاري إلى كيانات الأشياء وماهيتها، فهي تمنحُ الأشياءَ بالألوان إضافات ورموزًا جديدة[٤] ، والتشكيلُ اللوني الجمالي في الشعر مكوّن مهم يفرضُ نفسه على الذاتِ الإنسانيةِ وهو معين معرفي يُسهمُ في تثبيت رؤى الشاعرِ وإنتاج دلالة النص الشعري .

ويُسهمُ اللونُ بشكل مباشر أو غير مباشر في تغيير مفاهيم الشاعر والمتلقي ملبيًا للطموح فرحًا أو حزنًا؛ لذلك فاللون يمنحُ قيمةً للحياة ووجودًا ، ويبقى التشكيلُ اللوني الموظَّف في الإبداع الشعري لغةَ مَنْ لا لغةَ له ، فهو يُنْطق الجماد ويمنحهُ لغةً لِما له من قدرة على التوصيل ولما يملكه من آليات الإيحاء والدقة في تجسيد المعنى، (وهنا يلتقي الفن باللغة) [٥]؛ لذلك نجد أن الألوان تتحرك دلالياً على مساحة النصوص الشعرية لشهابِ الدين التلعفري لتعبر عن الرؤية الشعرية له .

كما أنَّ التشكيلات اللونية الجمالية تمنحُ النصوص الشعرية فنَّية عالية ؛ لأنَّها تنطوي على أبعاد جمالية تتشابك فيها الألوان مع الرموز، فاللونُ يمنحُ الحياة والوجودَ قيمةَ لا يمكن إغفالُها[٦]، ويبقى للألوان وتشكيلاتها المتنوعة بالصريحة وغير الصريحة والمتداخلة دافعٌ وتأثيرٌ في إغناء النص الشعري .

إنَّ ميلَ الذوق البشري إلى الألوانِ والتأثر بها والإحساس بوجودها يتوقف على قدرة اللون في التأثير والجذب ، ثم إنَّ الغرضَ الجمالي للون يكون بإثارة الإحساس والمشاعر والعواطف ، وله هدف وظيفيٌ وعمليٌ أيضًا، إذ أنه ذو طابعٍ ازدواجي يجمعُ بين الجمالِ والتأثيرِ في النفسِ وهي وظيفته العملية[٧]، فتوظيف اللون في النصوص الشعرية يضع الطاقة الفنية داخله ويمده بالحياة والنماء، و (الشعر ينبت ويترعرع في أحضان الألوان سواء أكانت منظورة أم مستحضرة في الذهن، وهي مرآة عاكسة

للشاعر وذاته)[٨] فتبقى للألوان تأثيرات نفسية متنوعة، وهي تولد لدينا إدراكاتِ متنوعةٍ وأحاسيس متعددة ومختلفة ، وهي تؤثرُ في المزاجِ ، وتزيد من الانفعالِ ، ومن ثم تغيرُ الحالة النفسية .

إنَّ اللونَ يزيدُ من إثارة البصر ويساعدُ الذاكرةَ على الاحتفاظِ بالصورةِ ذهنيًا لاسترجاعها في الوقت المناسب ، ويبقى اللونُ (بنية أساسية في تشكيلِ القصيدةِ وركيزة مهمة تقومُ عليها الصورة الشعرية بجانبيها (الشكل والمضمون) وفيه إضاءاتٌ دالة تعطي أبعادًا جماليةً وفنية للعمل الأدبي، (فالنصُ الشعري يتأثثُ باللون ، وهو انعكاس للإحساس والحالةِ النفسيةِ) [٩]؛ لذلك يبقى التشكيلُ اللوني عنصر اشتغالٍ في نصِ الشاعرِ، ويبقى النظامُ اللوني متحولاً ومتغايرًا لا يخضعُ لمعايير ثابتة في المقياس التأثيري والحركي وإنّما يعتمدُ على حساسيتهِ وارتباطِهِ بالحالة الشعرية وعمق الحاجة إليها[١٠]، فيستثمرُ شهاب الدين التلعفري إمكانيات اللون ويتخذُ منها تقنية فيحول كلماته الشعرية بها إلى أشكال مزينة بالتشكيلِ اللوني ويصبغُ منها لوحات فنية لها إيحاءاتُها الهادفة والمثيرة ؛ ولذلك يخضعُ المشهد الشعري ومونتاجه المشكل باللون في سبيل تشكيله جماليًا ورؤيويًا إلى مجموعةِ من المؤثرات الفنية الإجرائية التي تؤدي دورها، كما أنَّ بعضَها يؤلفُ النسيج الباطني العميق للنص ، ثمَّ يعملُ بعد ذلك إلى تحديدِ هوية الخطابِ الشعري المصاغ من الألوان[١١] ؛ لأنهُ (ينطوي على أبعادِ جماليةٍ تعطي النص قيمة فنية عالية تتشابكُ فيه الألوانُ والرموز جراء التوظيفِ الدائم والمحمل بدلالاتٍ متنوعةٍ ، ويبقىَ التشكيلُ اللوني وتنوعهُ احد ركائزَ الصورة الشعرية والتي حين تجمع أجزائها تُشكلُ جملةً من العناصرِ الجمالية ، وتضفي على العملِ الأدبي إضاءة موحية وتبدي أبعادًا فنية عليها) [١٢] فجاذبية اللون تتواجدُ داخلَ النص الشعري كمحركٍ فعَّالٍ في بنائهِ وتكوينِ صوره ، وامتدادًا لدأبِ النقادِ على استجلاء المحاور الدلالية لجمالياتِ اللونِ في الخطابِ الشعري فإنهم يستوفدون لهذه الغاية مستخلصاتٍ وانساقًا معرفية متعددة كعلم النفس والاجتماع والبلاغة[١٣]، ولذلك يبقى اللونُ باعثاً للنشاطِ والحيويةِ الشعريةِ ، وهو من مكوناتِ الإطار الطبيعي لحياتِنا، ولهُ انعكاساتٍ وتأثيراتٍ حسية ونفسية لذواتِنا ويرتبط بخصائص فردية شخصية حسبَ الأذواقِ والطبائعِ وسرعة التأثر[١٤]، فاستعانةُ الشاعرِ بالعنصرِ اللوني في خطابهِ الشعري يجيءُ لتقوية الدلالاتِ وتعزيزها بمختلفِ الإضافات ويؤثرُ اللونُ في السلوكِ الشعريّ للشاعر، وتفضيلهُ لألوان معينة يرجِعُ إلى مزاجهِ النفسي ، والألوانُ لها (مفعولٌ يتميزُ بالبرودةِ والحرارةِ في تدرّج متناهٍ من الشدّةِ إلى الضعفِ ، وكل حالةٍ نفسيةٍ تستدعي استجابةً معينةً يمكن التعبيرُ عن أثرها بوضوح ، وكثيرًا ما نبقى مشدودين إليها وعاجزين عن إبداءِ القُدرةِ على وصفِ الإحساسِ بها والمشاعر تجاهها) [١٥]، فيبقى للونِ لمسةً موحيةً وبصمة فنية لها القدرةُ على الإسهامِ في تكوين القيمِ التعبيريةِ والجماليةِ .

أولاً: التَشْكِيلُ اللّونيُّ للأَلْوانِ الصّرِيحةِ / المباشرة:

يكشفُ لنا اللونُ الصريحُ[١٦] الموظفُ في نصوصِ شهاب الدين التلعفري الموقف الذي استدعى وجوده في النص الشعري ، فهو يعودُ عليه بصبغةٍ جماليةٍ وبقوةِ تأثير وإيحاء وتحمل الرسالة المطلوبة ، ويبقى اللونُ الصريحُ المباشرُ وسيلةً مهمةً من وسائلِ التعبيرِ والفهمِ وقوة موجبة وجذابة تؤثرُ في الإحساسِ الإنساني[١٧]، والجمالُ اللوني الصريحُ في الإبداعِ الشعري يُحيلُنا بالضرورةِ على مدلولاتِ غائبةٍ عن النص، وهذه الإحالةُ تستوجبُ التحركَ في فضاءِ النص للبحث عنها وجلبها واستدعائها إلى مجال التلقي ؛ لذا يبقى اللونُ ودلالاتُه العميقة تؤثرُ في عصبِ المعنى وتبني الصور المكتملة، كما يُسهمُ اللون الصريح / المباشر في إكمال بناء اللحمة الفنية للنص وتبيان الرؤية الفكرية للشاعر؛ ولذلك كان للون دور كبير في التعبيرِ عن تغيير مزاج الشاعر / الإنسان .

ويبقىَ اللونُ الصريحُ رمزًا مثيرًا للعواطفِ والأحاسيسِ النفسية ، ولهُ ارتباطٌ تاريخي عميق بالذاتِ الإنسانية والذكريات المغمورة المخزونة بالذاكرةِ ، وكانتْ تلك الألوانُ المباشرة تمتلكُ فاعليتها الكبرى في إغناء النصّ الشعري ، وتشكيل رؤيته الجمالية وقدرته الإيحائية العالية المؤثرة على المتلقي، ففيها تتحققُ الإثارةُ الجماليةُ ويعمقُ مكنونها الرؤيوي ويصلُ إلى مغزاهِ الفني .

إنَّ الإثاراتِ الجمالية للون حاضرةٌ عند شهاب الدين التلعفري ، وهو يصفُ المرأةَ ويصفُ ربيع بلاده[١٨]:

ومُسَـــدَّداً مِـــنْ مُقلتيـــهِ أســـهُماً ... فـــي مُهجتـــي وَصَـلتْ إلـــى بُرْجاسِـــها

أنَسِـــيْتَ بالخَضـــراءِ أيَّامـــاً ذَهَـــتْ ... بكمـــالِ بَهْجتِهـــا علـــى أجناسِـــها

وريـــاضِ أرْبُعِهـــا وحُمْـــرةِ وَرْدِهـــا ... وغيـــاضِ أنهرِهـــا وخُضْـــرةِ آسِـــها

للهِ عَصْـــرُ شـــبيبةٍ قَضّـــيتُه ... فـــي مَرْجِهـــا وبجـــانبي مِقياسِـــها

وبِـــأيمَنِ العَلَمْـــين دارٌ بُـــدلَتْ ... عَرَصـــاتُها الايحـــاشَ مـــن إيْناسِـــها

عَرَّضـــتُ فيهـــا بالركـــابِ مُسَـــلّماً ... عـــن بـــدرِ مَشْـــرِقها وريـــمِ كِناسِـــها

يحتاجُ التوظيفُ اللوني تمكّنًا علميًا عميقًا ، إذ يستعمل شهاب الدين التلعفري اللونَ الصريحَ للتعبيرِ عمَّا بداخله وللتنفيسِ عن عواطفهِ ومشاعرهِ ، فاللونُ له القدرة على التأثيرِ والجذبِ والسطوةِ على النفسِ الإنسانية ، فيخاطبُ أولاً المرأة متغزلاً بأنَّها سددتْ من عينيها أسهمًا أصابتْ دمَ قلبهِ (مهجتي) حتى وصلتْ إلى أعماقهِ ، وأرادَ بهذا أن يقول إنَّ الحبيبَ فعلَ فعله بالهجرِ والجفاءِ ، ثم ينعطفُ باتجاه (اللون الصريح / الخضراء، خضرة آسها) لتزهو أيامه بتمام سعادته ، فاللون الأخضر لون منعش وهادئ وحيٌّ نشيط يستدعي راحَة النفسِ والصبرَ والهدوءَ وهو مهم للمستوى العصبي للشاعر، ونصهُ الشعري قادرٌ

على الإيحاءِ والاستنطاق باللون ، فيصفُ الربيعَ بألوانهِ (رياض أربعها وحمرة وردها) (وغياض أنهرها) و (وخضرة آسِها) فالمرأةُ مثلُ الربيعِ لها وجه حسن من حمرة الورود ، فتوظيف الشاعر للألوان هو لإنتاج نوع من التلازم بين الفضاء الخارجي (المرأة والطبيعة) وبين (الذات الشاعرة) إذ يحنُّ للمكانِ والحبيبةِ معًا ، فقد قضى فيها أجملَ أيامه وعاش معها أجمل لحظاته ، فكانت الشحنات الوجدانية الشعورية السبب في توتره النفسي ، فحاول توظيفها بـ (اللون) وهو يحنُّ إلى مَن فارقوه وتركوه إذ أنَ إبداعهُ الشعري مرتبط بتوتره النفسي ، فيسعى بالأخضر الصريح إلى خفضِ التوترِ بعملية الإبداع وإفراغ الشحنات العاطفية ، فهو يحنُّ إلى ضبائها (كناسها) من شدة الوجد والفراق ، لقد تجاوزَ باللونِ الإيحاء المباشر إلى ما وراءهُ ، فيتخطى من البصر / للرؤية إلى البصير / الرؤيا ، فكان لونه الصريح (الأخضر) أكثر الألوان مناسبةً لوضعه النفسي ليكون أكثر وضوحًا واستقرارًا عمَّا يعانيه من الفراق والحنين والشوق ، فنصه الشعري لم يكن بناءً فنيًّا فقط ، بل شحنةً عاطفيةً واتقاد شعوري محتدم ، فهو شعورٌ عاطفي متقد يتموضع على شكلِ بناءٍ شعري محكم ، فلا العاطفة وحدها تكفي ، ولا البناء وحده يكفي ؛ لهذا فهي وحدةٌ موضوعيةُ وعضويةُ ، روحية ونصية ، ولهذا رفع شهاب الدين التلعفري باللونِ من كفاءةِ النص الشعري وزاد من نشاطهِ النفسي والذهني .

إنَّ اللون الصريح معجم شعري متكامل عند الشاعر، فنجده في نصٍ آخر يقول[١٩] :

وجِـــدادُ بِـــيضِ مُهنَّـــداتِ سُـــيوفها عـــنْ إثـــم ثَغْـــرِك غـــادرتني حائِـــدا

لـــيسَ المُقبّـــلُ منـــك إلّا قِبلـــة يـــافوزُ مَـــنُ أمســـى إليهـــا ســـاجدا

سُـــبحانَ مَـــنْ أعطـــاكَ طَرْفـــاً ســـاجياً يكســـو القلـــبَ شـــجى وفَرْعـــاً واردا

لحـــظٌ وشَـــعْرٌ لا تـــرى مِـــنْ ذا وذا إلا أســـــودَ كريهـــــة وأســـــاودا

إنْ كنـــت ترضـــى يـــا معـــذبَ مُهجتـــي ســـهري فـــلا أعطيـــتَ طرفـــاً راقـــدا

يدخلُ اللونُ الصريحُ ضمنَ نسيج الحياةِ الإنسانية عند شهاب الدين التلعفري في وصفهِ للأشياء ، فتشكيلهُ اللوني مرتبطٌ بالإحساسِ والعاطفةِ الذاتية ويترجمهُ بالنصّ الشعري المقروء ، فجاءَ باللونِ الأبيضِ وبدأ به لإثارة الهدوء بداية حتى يربط دلالاته بالغزل المقبل، فهو يقلب المعنى بالحدادِ من الأسودِ إلى الأبيضِ ليتمنى ما لا يدركه منها (يا فوز من أمسى...) ثم يصفها بالساكنة الجميلة (الطرف الساجي) لتمنحَ قلبه حزنًا على بُعدها بأوصافِها وشعرِها الطويل المسترسل (فرعًا واردا)، فالفكرُ الجمالي عند الشاعرِ نتيجة لتفاعل الرؤى والدلالات لينتج رؤية جديدة نابعة من النفس ، فباللونِ شكلَ الشاعرُ صورَة لونية ، كانتْ دعامةً من دعاماتِ الصورةِ الشعرية وبهذا ازدادتْ خصوصيتها ، فكانتْ صورتهُ اللونية لا تعطينا المعنى بشكل مباشر، بل توحي لنا بأجوائها وجوانبها بشكل بعيد، ثَّم يشبهُ اللحظَ بالأسودِ والشَّعر

بالأساور / الأفاعي، إذ يشبهُ شَعَر المرأةِ من جهةِ الحركةِ وانسيابيتها فهي من أجمل ما وصُفِتْ بها المرأة ، فكانَ اللون (انعكاسًا للانفعالات التي تختلج بواطن الفؤاد فتُخرجُ ذلك البريق الذي يوقظ الأحاسيس وينمي الشعورَ، ويبهر النظر، فيكون مثيراً للعاطفة ومهدئاً للنفس) [٢٠] ثَّم يعود مخاطبًا لها بأن لا ترضى بعذاباتهِ وشجنهِ وبُعده عنها وسهره عليها (إن كنت ترضى يا معذب مهجتي....) فلن يذوق بعد ذلك طعم النوم ولذة السهر، فكان للون الصريح من الأبيضِ والأسودِ دور كبير لمساعدة الشاعر في نقلِ أحاسيسهِ ومشاعرهِ إلى المتلقي ومِن ثمَّ أثارت انفعالاته ليشارك الشاعر بكل أحاسيسه ، فكانت هناك دوافع جمالية تحرض الشاعر وتدفعهُ إلى الإنتاجِ الشعري وتوظيف اللون لتحريك خيال المتلقي ، وتكثيف الرؤية الشعرية ليظهر النص مكثفًا دلاليًّا ومنسقًا عاطفيًّا ولجذب محبوبته أيضًا ، ثَّم يتحولُ الشاعرُ باللونِ الصريحِ إلى نص آخر، إذ يقول[٢١] :

قِــفْ ســائِلاً بلــوى الكَثيِــب الأيمــنِ ... داراً عفــتْ فكأنّهــا لــم تُسْــكَنِ

وحــذارِ أحــداقَ الظِّبــاءِ فلــم تــزلْ ... حُمُــر المنايــا فــي سَــوادِ الأعــيُنِ

اعلمــتَ كــم كابــدتُ يــوم المُنحنــىَ ... كمــداً عليــهِ غــدتْ ضُــلوعي تنحنــي

ظَعَنــتْ ركــائبُهمْ فــلا ظِلِّــي نــدٍ ... مِــنْ بَعْــدِ فَــرقَتهم ولاَ عَيْشــي هنــي

رَحلــوا بواضــحةِ الجبــينِ إذا بــدتْ ... فلمِجْتــلِ وإذا انَثَنــتْ فلمُجتنــي

هَيفــا القــوام يهــزَّ مــن أعطافِهــا ... سْــكرُ الشَّــبيبةِ غَصْــنَ قــدّ لــيَّنِ

يتوغلُ اللون الصريح في عمقِ النص الشعري ، فبنيتْ القصيدةُ على مرتكزِ جمالي / لوني متماسك برؤيةٍ محددة للشاعر يكشفُ بها عن أحاسيسهِ بتكوين نصوصهِ المليئةِ بالصورِ اللونية، فهو يخاطبُ سامعه (قف سائلاً) ويدعوهُ للشوقِ معه والحزن على الدارِ التي هجرها أهلها بعدما كانت مأهولة بهم (فكأنها لم تسكن) ثم يعود محذرًا (وحذار) فما زالت العيون حزينة على ما رأت (حمر المنايا) في (سواد الأعين) ذاكرًا الألوان بصيغة صريحة ، فبتمازج الألوان حققَ الشاعرُ تلاحمًا فنيًّا يحققُ غايته ويثبت للنص تكامله ونموه الجمالي، فيشكو شهاب الدين التلعفري البُعد عن الديار والأحبة والأهل وشوقه الكبير لها ، ومن شدةِ الكمد انحنتْ ضلوعه في صورة شعرية مُشكلة باللون ، فحزن حُزنًا شديدًّا حتى التوت ضلوعه وتغير لون وجههِ وذهب صفاؤه ، فكان دورُ اللون الأحمر ذا حيوية كبيرة إذ فجرَ الطاقة النفسية عندهُ عندما رأى بعينيه رحيلهم (ظعنت ركابهم) ولم يعد يهنأ بعيشٍ بعدهم ، فكانَ التصريحُ باللونِ في النصِ بمثابة شعر التجربة الوجدانية الحارة والنابعةِ من أعماقِ الشاعرِ والمليئةِ بالوجدانِ والمشاعرِ والأحاسيسِ والتي تلتحم مع الحقيقة وجوهرها، وتنبعُ من صفاءِ رؤية الشاعر النفسية / الباطنية المرتبطة بالحدس والخيال ، فهم رحلوا أمامَ الجميعِ (واضحة الجبين) كنايةً عن رحيلهم نهارًا وتركوه وحيدًا غارقًا

بأحزانهِ وشجونهِ واصفًا المحبوبة التي تركتْهُ مع الظعنِ ورحلتْ ، رامزًا لها بـ (هيفا) وأصلها (هيفاء) بقوامها الجميل وجسمها المتناسق ، فهي كالغصن اللين بكل ما تحمله من جمال ، فكانتْ الألوانُ الصريحة (مثيرات حسية أحدثت توترًا في أعصابهِ وحركة في مشاعرهِ ، وكانت نفسها مفتاحًا لفهم التجربة الشعرية والوصول إلى مغزى النص) [٢٢] فكان للون بُعدُ إشاريٌّ ودلاليٌّ كبيرٌ .

ويتنقل الشاعر بصراحة الألوان بالأسود مرة ، وبالأحمر مرة أخرى، يقول[٢٣]:

وجَعَلْتَ حظِّي مِثْلَ خِالَكَ أسودا ... فَأذَقْتني مَوْتاً كخدِّكَ أحمَرا

بعضُ اللّيلِ بأنَّ وَجْهَكَ جَنَّةَ ... رِيقٌ يُحاكي مِنْ لَماكَ الكَوثرا

وَرَمَيْتني بِسهامِ مُقلتِكَ التي ... ((هاروتُ)) آيَتَهُ عليها قَدْ قرا

ما كنتُ قبلَ لِحاظِ طرفِك مُثْبتاً ... أن الظِّباءَ تَصيدُ آسادَ الشَّرى

صبري لوصِلك لا سبيلَ إليهِ لي ... إلاّ إذا التقتِ الثّريَّا بالثّرى

شكَّلَ اللونُ الصريح في شعر شهاب الدين التلعفري هاجسًا قويًا عبَّر به عن حالتهِ النفسية ، فباللون فتَح الشاعرُ آفاقَ الجمالِ عند المتلقي وبنى عليه صوره الشعرية ، إذ شبه الشاعرُ حظه ونصيبه عند المحبوبة بـ (الخال الأسود) صراحةً حتى ذاق منها (الموت الأحمر) كخدودها، والمعروف أنَّ المرأةَ الجميلة توصفُ بها، فربط الشاعرُ باللون حزنه مع جمال معشوقته واصفًا إياها بأعلى الصفات، فشفتاها كاللمى (وهو اللون الأسمر المخالط بالسواد) وهي من الصفاتِ المستحسنة عند المرأة ، فحضورُ الألوانِ الصريحة مجتمعة مع الإشارةِ إلى غير الصريحة في النص يجعلُ من الألوانِ البؤرة المحورية فيها، فمجيئه بـ (اللمى / دلالة على اللون الأسمر) بمثابة الهروبِ من الدلالةِ المزعجة للون الأسود إلى لونٍ أكثرَ قبولاً واستحسانًا عندَ المتلقي ، إذ استطاع الشاعر من خلال اللون أن يعبر عن معانٍ متعددةٍ وكبيرةٍ لا تستطيع الكلمات المباشرة التعبير عنها، وبذلك يصبحُ اللون ذات قوةٍ رمزيةٍ كبيرة ومؤثرة ، وتطلعنا على آفاق ذوقيةٍ جديدةٍ ومبتكرة ، فبالأسود والأحمر والأسمر نهضَ الشاعرُ بانسجامِ القصيدةِ وصارتْ متلائمةً فيما بينها بسبب قدرته على تنسيقها في خطابه الشعري ، ثم أحضر (عيون المحبوبة / مقلتك) التي رمتها به ففعلتْ فعلتها السحرية بتأثيره عليه مشبهًا ذلك بسحر(هاروت) مفيدًا من القرآنِ الكريمِ في قولهِ تعالى ((وما أُنزِلَ على المَلَكينِ بِبَابِلَ هاروتَ وماروتَ)) [24] فهو لم يكن مسحورًا قبل نظراتها إليه بطرف عينيها (لحاظ طرفك مثبتًا...) لكنَّهُ على الرغمِ من ذلك يصفُ صبره الكبير حتى يلقاها ولن يتراجع عن ذلك حتى تلتقي نجمة (الثريا) بتراب (الأرض / الثرى) دلالة على التعجيز ، موظفًا تقنية الجناسِ لتوطين دلالته العميقة ؛ لذا شكّلَ اللونُ بؤرةً مركزيةً في مراحلِ النص الشعري وفي إنتاج توازنه ، فكانتْ تصويرًا مُشَّعًا باللونِ ينبعثُ من الكلماتِ ضمن النص المليء بالفاعلية الجمالية .

ويغترف الشاعر من دلالات اللون وإيحاءاته ، إذ نجده يقول عن اللون الأصفر[25]:

ولَيلَـــــة بـــــتُّ بِهـــــا مُنادمًـــــا أهيـــفَ مـــا البْـــدرُ ســـوَى طَلْعَتـــهِ

يُـــــديرُها صَـــــفْراءَ عَســـــجْديَّة أغْنـــى الـــوَرى مَـــنْ هـــي فـــي قَبْضَـــتهِ

كأنّهـــــا ســـــبيكةٌ مِـــــنْ ذَهَـــــب أضـــــافَها الكـــــأسُ إلـــــى فضـــــتِهِ

جـــاء بهـــا يكسِـــرُ جفنـــاً مُوْدعـــاً نَشـــاطهُ الزَّائـــدَ فـــي فَتْرتـــهِ

قَـــدْ كفلـــت مِنـــهُ لـــه كَسْـــرتُهُ بكُـــلِّ مـــا يطلُـــبُ مِـــنْ نُصـــرتِهِ

إنَّ الحسَّ الجمالي الذي يمتلكهُ الشاعر دفعه إلى تشكيلِ صورة لونية مؤثرة وذات أبعاد فنية خالصة تُؤهلهُ الوصول إلى قمةِ النضجُ الفني ، فهو يقضي لياليه مع الندماء، مستعملاً الصفة المشبهة (أهيف) دلالة على ركونه للثبات لا ينتظرُ سوى رؤيةَ البدر، يقضي ليلته مع (الخمرة) (صفراء عسجدية) مشبهًا إياها بـ (الذهب) لونًا ، فالخمرةُ تُغنيه عن الورى ، مثلما يُغني لبس الذهب وجماله في اليد موظفًا التشبيه بـ (كأن) كونها من أشهر أدوات التشبيه التي بها يؤدي المعنى والدلالة المرجوة ، فهي مبالغة في التوكيد، عائدًا إلى اللون الأصفرِ مرة أخرى لما يُوحيه هذا اللون من رموز ومعان ودلالات تدلُّ على الحياةِ والأمل ، فنظرته للون ليستْ سطحيةً بل يغوصُ بداخلها، إذ (يُسهمُ تأثير الفعل اللوني بالدرجة الأساس في إضفاء قدرات جديدة من الإثارة، وتوسيعَ القابليات التشكيلية الجمالية لهيكل النص خدمة للصور الشعرية، وتتوفرُ فيها الكثير من القيم التي تكشفُ عن وعي الشاعر وإمكاناته) [٢٦] فالساقي يحملُ الكؤوسَ من دون تعب أو ملل في كلِّ وقت وحين ، متعهدًا بذلك للساقي ، فالشاعر / الإنسان لا يسلك سلوكًا معينًّا أو يتبنى وجهة نظر إلا عن اقتناع نفسي ، وهذه هي القناعة بنظر الشاعر، ومن جانبِ آخر يجبُ أنْ تكونَ نفسية المتلقي متهيئة لتلقي النص الشعري ؛ لينسجم معها ويتأثرُ بها وتصلُ إلى مستوى إدراكه ليؤدي دوره المطلوب في الإثارة والانفعال اللازم ، فكانَ ربط الذات الشاعرة باللون أمرًا ضروريًا جدًا لينشأ عند المتلقي تصور واضح عمّا يقصدهُ ، وبما أنَّ اللون الأصفر لون ساخنٌ ومتحول وفيه توهجٌ وإشراق ، فقد أرادَ الشاعرُ من خلاله لفت أنظار المتلقي عمَّا يبتغي إيصاله إليه ، وهنا دخل النشاطُ اللوني الصريح ضمنَ الحركةِ الشعرية وتآلف معها.

ويبدو أنَّ اللون الأصفر من الألوان المفضلةِ عند شهاب الدين التلعفري وهي عنده تخاطبُ العقل مباشرةً ، ونجد له نصًّا آخرَ يقول فيه[٢٧]:

فـــاخلع عِـــذارك فـــي التصـــابي والهَـــوَى فَصِـــانَةُ الفطِـــنِ اللّبيـــبِ إذا افتُضـــحْ

وانهـــضْ إلـــى الـــرَّاحِ التـــي لـــم تـــدعُهَا إلا أجابَـــــتْ بالمسَّـــــرةِ والفـــــرَحْ

صَـــفْراءُ حَـــاطَ الكـــأسُ مِنْهـــا قَانِيـــاً لُطفـــاً وراض المـــاءُ مِنْهـــا مـــا جَمَـــحْ

شَـــــرُفت فـــــأيُّ يَـــــدٍلها ماسُـــــورتْ نُعمْـــــىَ تَعُـــمُّ وآيُّ قَلْـــبٍ مـــا انشـــرح

بينـــــي وَبَـــــنْ عـــــوازِلي فـــــي شُـــــربِها مـــا بَـــيْنَ فـــضِّ الخَـــتْمِ مِنْهـــا والتَّـــرحْ

إنَّ لشعرَ شهاب الدين التلعفري طبيعةٌ رؤيوية تبلور موقفهُ في الحياةِ ، فهو يرى أنَّ (الخمرة) هي السبيل إلى عيشه وحياته ، وهو يدعو نديمه إلى الشرب (وانهض إلى الراح) الخمرة التي تلبي كل مطالبهم وتنسيهم هموم الحياة ومصاعبها، وهي بنظره تصون العقل إذا انحرف، ملتفتًا إلى لونها (صفراء) ؛ ليزيد من مكانتها التي تزيدهم أفراحًا ومسرات ، فتوظيف الشاعر للون الأصفر يكشفُ عن خبايا النفسِ عنده كإنسان أولاً ، وشاعر ثانيًا، ونديمًا ثالثًا ، فيكون للمفردة اللونية دورٌ كبيرٌ في إنتاج لغة خاصة داخل النص، فأية يد تحملُ تلك الكؤوسَ هي يد مشرفة وجميلة كالأيادي التي تحملُ الأساور الذهبية (فأي يد لها ماسورت...) فتنشرحُ لها القلوبُ حالها من حالِ رؤية الحسنِ والجمالِ ، وما بينهُ وبين ندمائهِ في السهرِ والشربِ ليس ببعيد أو صعب المنال ، فتوظيفُ الشاعرِ للأصفرِ الصريح لمْ يكنْ عشوائيًا بل متقصدًا في رموزها ودلالاتها لتؤدي الغرضَ المناسب ، فاللونُ الصريحُ يقرّبُ الفكرة من الأذهانِ ويوضح معالِمهَا، ويُسهمُ في تشكيلِ اللحمة داخل النصوص الشعرية ، ويمتزجُ بجسدِ القصيدةِ ويصبحُ جزءًا منها كما يساعدُ على تأويلها [٢٨] فكانَ النصُ الموظفُ باللونِ والمخدومِ بهِ تنفيسًا عن الذات والضغط النفسي عند الشاعر، كما كان اللون طاقة تشحن النص وبها يرتقي ويزداد لمعانه باللون الأصفر المصرح به ، وبذلك رفعَ الشاعرُ باللونِ وتيرة التفاعلِ بين أجزاء النص ونسيجهِ الداخلي وحفزه جماليًّا بالفاعلية الفنية التي يمتلكُها وكذلكَ بقدرتهِ على ربطِ أنساق النص مع التشكيلِ اللوني فقد دلَّ على الإيحاءات النفسية التي تؤكدُ لنا وعيهُ الجماليَّ والفني ، وبهذا ارتقى بنصوصهِ الشعرية إلى درجات الجمال العليا .

ثانيًا: التَشْكِيلُ اللّونيُّ للأَلْوانِ غَيْرِ الصّريحةِ / غير المباشرة :

يولي شهاب الدين التلعفري الفعالية اللونية غير الصريحة أهميةً كبيرةً تفوقُ أحيانًا اللون الصريح المباشر، ويسعى بذلكَ إلى (استثمار الطاقةِ المكنونة في جوفِ العلامة اللونية الغائرة في عمقِ الدال ، التي تكتسبُ شعريتَها من فضاءِ حضورهِا في منطقة الإيحاء اللونية بفعالية قيمتها الاشارية) [٢٩]والألوانُ غيرُ الصريحةِ مرآة لفكر الشاعر ينطلق مِنها أحيانًا لتحقيق ما يصبو إليه ؛ ولذلكَ يفتحُ التشكيلُ اللوني أفاقًا واسعة في مخيلة الشاعر، وإنَّ ارتباط الألوان غير الصريحة بالجمالِ يضفي على النصّ دلالاتٍ نفعيةٍ تزيد من تأثيرهِا على المتلقي ، فالتوظيفُ اللوني غير المباشر لا يحيلُ على اللونِ نفسه إلا بداية ، ثم يصبحُ دالاً لمدلولٍ ثانٍ يؤدي دلالة وجدانية انفعالية[٣٠]، لذلك (قدْ يكونُ التعبير عن الحالةِ النفسيةِ من خلال اللون في صورته الاشارية دون أنْ يُذكر اللفظ الدّال عليه ، وهذا يتطلبُ من المُتلقي تأويلاً يتجاوز الدلالات المعجمية إلى الدلالاتِ الاشارية في محتواها النفسي ، وعلى فطنة المتلقي ؛ ليتوقف إيجاد التناسق

بين ما يتصفُ بهذا اللون وما يقع حوله من أحداث مكتظة بالموقف الشعوري) [٣١] فكانَ الإيحاءُ باللونِ هو الجمال نفسه ؛ لذا يستحضرُ الشاعرُ الألوان غير الصريحة في نصوصهِ الشعرية لإغنائها ، وهنا نجدُ أن الإيحاءَ بالألوان (يعدُّ من الأساليبِ التشكيلية ذات القيمةِ الجمالية الأعلى ؛ لما تنطوي عليه فعالية الإيحاء من فضاء مفتوح لا تربطه بحدود لون مصرح به ذي إحالة دلالية يمكن التوصل إليها بسهولة، بل يترك المجال واسعًا وعميقًا ورحباً لآلة التأويل ؛ لكي تعمل بأعلى طاقتها الإنتاجية من أجل التقاط لعبة المعنى الغزيرة داخل فضاء الإيحاء ، وهو مستمر بإنتاج دلالته) [٣٢] فكانتْ تلك الألوان غير الصريحة تثيرُ الانفعالات النفسية عند الشاعر والمتلقي وتحركُ الذوات الإنسانية وهي مختلفة من شخص إلى آخر.

وتعدُّ الألوانُ غير الصريحة وسيلةً لإنعاشِ الفكر وإحياء الذاكرة وتنشط الخيال عند شهاب الدين التلعفري ، فنجده يقول[٣٣]:

أراهُ يـــورّي حـــين يُســـألُ عـــن دمـــي ... وفـــي وجَنتيـــهِ منـــه آثـــارُ عَنـــدمِ

كثيـــرُ معـــاني الحســـنِ قـــلَّ نظيـــرُهُ ... فهـــا هـــو فـــردٌ لـــيس فيـــهِ بتـــوأمِ

لـــــهُ وهـــو مملـــوكٌ تحكَّـــمُ مالـــكِ ... كمـــا هـــو ظبـــيٌ فيـــه صـــولةَ ضَـــيغْمِ

يلـــوحُ كبـــدرٍ طـــالعِ النَّـــورِ مُشـــرِقِ ... بـــدا فـــي دُجـــى ليـــلٍ مـــن الشَّـــعر مُظلِـــمِ

بُصـــدغٍ يُصـــانُ الخـــدَّ منـــه بعقـــربِ ... وفـــرعٍ يُـــزانُ القـــدَّ منـــهُ بـــأرقمِ

يؤدي الإدراكُ اللوني بالبعدين الحسي والمعرفي دورًا كبيرًا مع خبرات الذاكرة المخزونة في توضيح الدلالة داخل النص الشعري ، ففعاليةُ اللونِ غير الصريح تُسهمُ في بناءِ الصورةِ الشعريةِ ، إذ تقوم عليها الدعاماتُ الأساسية لمرتكزات النص الشعري ، فيعتمدُ الشاعرُ هنا على الألوانِ غير الصريحة (دمي، عندم ، النور، دجى، مظلم، عقرب، الفرع، الأرقم) مازجًا بين دلالات الأحمر والأسود المختلفة ليبني صورة شعرية لونية للممدوح واصفًا إياه بصفات حسنة (في وجنتيه منه آثار عندم) فمعاني الحسن كثيرة عند الملك العزيز / الممدوح ، وقل نظيره في الوجودِ وليس له مثيلٌ بين أقرانه ، ثم يشبهُ ممدوحه بالفرادة والعزة مثل الظبي الذي يشعُّ نورًا مشرقًا في ظلام الليل / دجى ليلٍ وكأنه الشعر المظلم دلالة على كثرة الضوء والنور والإشراقِ في سوادِ الليل البهيم ، فالألوانُ غير الصريحة لها مقومات جمالية تمنحُهُ طاقة وقابلية كبيرة للتشكيل الفني ؛ لذا يستعيرُ الشاعرُ إمكانات اللون ليجسد تجربته الشعورية ويمنحُها قدرًا أكبر من التحفيز الذهني لإغناء عملية التلقي بأدوات جديدة ، و يعمدُ شهاب الدين التلعفري هنا إلى الدلالة البعيدة للون أكثر من دلالتهِ السطحية توثيقًا للصفات البهية للممدوحِ ، ثم يشبهُ الصدغ تشبيهًا مؤكدًا تعميقًا للدلالة (بصدغ يصان الخد منه بعقرب) موظفًا اللون غير الصريح (في العقرب) دلالةً

على شدة السوادِ، ويشبه شعره وسواده بالأرقم / الحية دلالة على طوله وسواده ولينه ، وهنا يسحبُ الشاعرُ الدلالةَ المزعجة للون الأسودِ إلى دلالة محبوبة وأكثر قبولاً ؛ إذ أرادَ الشاعرُ أن يكونَ هناك ارتباط نفسي شعوري بينه وبين المتلقي لإحداث عملية التفاعل الدلالي بين الطرفين وبيان نتائجه الإيجابية المرجوة.

ويقولُ الشاعرُ باللونِ أحيانًا ما لمْ يستطعْ قوله بالكلمات فيحركُ الوجدانَ ويُثيرُ المشاعرَ، فنجده يقول[٣٤]:

لـــك ثغـــرٌ كلؤلـــؤٍ فـــي عَقيـــقِ ورُضـــابٌ كالشَّـــهد او كـــالرَّحيقِ

وجُفـــونٌ لـــم تَمْتشِـــق سَـــفْيهَا إلّا لمغـــرى بقـــدِّك الممشـــوقِ

تِهـــتَ حُســـناً بكـــلِّ حـــظ مِـــنَ الحُسْـــ ـــنِ جليـــلٍ فـــي كـــلِّ معنـــى دقيـــقِ

وتفـــرَّدتَ بالجمـــالِ الـــذي خـــلاّ كَ مُستَوحِشـــاً بِغَيـــرِ رفيـــقِ

حمَّلتنـــي عينـــاكِ مالســـتُ يومـــاً فـــي هَواهـــا لبعضِـــه بمُطيـــقِ

واثّـــنِ مُحَمـــرَّ وَرْدِ خـــدَّيك واســـتر هُ وإلّا ينشـــقُّ قلـــبُ الشّـــقيقِ

إنَّ عملية اختيار الشاعر للون مخصص غير الصريح وتوظيفه داخلَ النص الشعري لها ارتباط خاص بموقف معين ، وتدخلُ ضمن رؤيته فيتدخل الشاعر متغزلاً وواصفًا للمرأة بالألوان غير الصريحة (اللؤلؤ / الأبيض / والعقيق / الأحمر) ويحددُ جمالها من كلِّ زيف ، فأسنانها في البياض كاللؤلؤ في خدره ، والريق مثل العسل (الشهد / الرحيق) فالمرأةُ في نص الشاعر هي الحياة نفسها ، ثم يصفُ طول قامتها وسرعة حركتِها ورزانة مشيها مثل الحصانِ الممشوق ، فإيجاد الألوان غير الصريحة وتوظيفها في النص يشكل بناءً لغويًا ؛ لأنه في حدِ ذاتهِ لغة قادرة على حملِ ونقلِ المدلولات التي تكفي لإيصال المعنى ، فموصوفتهُ تفردتْ بالحسن والجمال ومعانيهما ، والمرأةُ في شعرِ شهاب الدين التلعفري تحولَتْ من الواقعِ الحقيقي المكبوت إلى المتخيل المأمول ، وظلتْ في الذاكرة الشعرية له ، وباتت واقعًا أمامه[٣٥]، ويغرقُ في خيال عينيها وحسن جمالها ما لا يستطيع تحمله ، ثم يطلبُ منها أن تستُر حمرة خدها الذي شبههُ بالوردِ الأحمرِ (ورد خديك / الشقيق)، موظفاً اللون غير الصريح كي يحوي نصه الشعري على ما يثير النفس والانفعال ويشبع حاجتها ويلفت انتباهها، فالشاعرُ عندما يوظف اللون غير الصريح فإنه يمده بطاقة خيالية للتعبير وعمقًا في التفكير، ثم بذلك يحدد له مسارًا متميزًا في التلقي الذي يُسهمُ في إحياءِ النص جماليًا من خلال منظوره للنص ، واستحضرَ الشاعرُ عناصرَ من الطبيعة (اللؤلؤ، العقيق، الشهد، الورد، الشقيق) لتكون معجماً لونياً لما تحويه من ألوان ترتاحُ لها النفسُ الإنسانية وتنجذبُ المشاعرُ نحوها، وتُحيلُ الشاعر إلى معانٍ عميقة تترجم شعريًا عنده .

والتشكيلُ اللوني غير الصريح في النص الشعري له دورٌ مهم في تحفيزِ الدلالة وتكوين المعنى وبنائه ، يقولُ شهاب الدين التلعفري[٣٦]:

لــم أدرِ مِــمَّ يَفــوحُ لــي طِيــبُ الشَّــذا فَأميــلُ مَيْــلَ المُنتشــي المســرورِ؟

مِــنْ خــدَّه الــورديَّ أم مِــنْ خالــهِ الــ ـنّــدي أم مِــنْ ثَغْــرهِ الكــافوري

يــا بــرقُ حُــلَّ " بــأرقِ الحَنَّــانِ" عَــنْ كَثَــبٍ عُــرى جَيْــبِ الحيــا المُــزور

وأعِــدْ جُمــان الطّــل وهــو مُنضَّــدٌ عِقــداً لجِيــدِ البانــة الممطــورِ

وإذا " الثَنيَّــةَ" أشــرفتْ وشــممت مِــنْ أرجائِهــا أرجــا كنشــرِ عبيــرِ

سل " هضبهَا " المَنصوبَ: أين حَدْثُها الـ ـمرفــوعُ عَــنْ ذيــلِ الصَّــبا المجــرورِ

الألوانُ غير الصريحة لها دور تأثيري وانفعالي على الذاتِ الإنسانية وهي تحركُ المشاعرَ، فالأساس النفسي للون تكمنُ وراءه غايات الشاعر إذ يعبر بها عن الذاتِ ومعرفته بتأثيره تلك الألوان مرتبطة بذاته أولاً، وذات المتلقي ثانيًا ، وهنا تنسحبُ القيمة النفسية على النص ذاته، فهو لا يعرفُ من أينَ تفوح الرائحة القوية الزكية (رائحة الشذا) فتؤثر فيه ويصبح مسرورًا منتشيًا ، متسائلاً أم كيف حصل على السعادةِ هل من (خده الوردي) أم من (خاله الندي) أم من (ثغره الكافوري) دامجًا بين الألوان غير الصريحة (الوردي المائل للاحمرار) و (الخال) الأسود المعتم ، والثغر الكافوري الشديد السواد ، فالمتلقي للألوان غير الصريحة يجد لها القُدرة على فكِّ رموزها وفهم معانيها ودلالاتها ولا سيما إذا كانت في وصف المرأة ، فالصور الفنية المستحضرة بالألوان تعتمد في جوهرهِا على إحضار الغائب من المعاني وإثارة الدلالات المخفية عند المتلقي[٣٧]، فالنصّ الشعريّ القائم بالألوان غير الصريحة مرآة لمشاعر الشاعر والأحاسيس المتنوعة والانفعالات المختلفة ، ثم يعرجُ الشاعرُ إلى الحنينِ والشوق بـ (أبرق الحنان) مسمعًا نفسه صوت ذلك الحنين ، ثم يوظفُ تقنية التورية بـ (المزور) ففي معناها الأول (المتصل العُرى) ومعناها الأبعد وهو أن الأوراد ما تزالُ أزرارًا في أكمامِها، ثم يقومُ البرقُ بفكِّ (العُرى) وينزلُ المطر وتنفتحُ تلك الأكمامَ وبنزولِ الغيثِ تتكشف تلك الطرق في الجبال (الثنية) فتفوح منها رائحة العبير الطيب ، وهي رائحة المطر الأول عند نزولهِ التي ترتاحُ لها النفس البشرية بمختلف أجناسها، وينتقلُ الشاعرُ إلى توظيفِ تراكيب تُقرب الصورة المبتغاة فيسألُ (هضابها المعتدلة المنصوبة) عن أحاديث العشقِ والهوى (المرفوعة) بحنان وغرام (الصبا) المجرورة ، فقدْ جاءَ التشكيلُ اللوني غير الصريح هنا بمثابة (البؤرة الرؤيوية الجمالية) [٣٨] لها، ومنها ارتفعتْ وتيرتها الجمالية ، فكان اللونُ بؤرة الإشعاع الجمالي ، وكانتْ الألوانُ ذات نبض إيحائي دافق يستطيعُ الشاعرُ من خلالهِ أنْ يحقق درجات كبيرة من الإثارة الجمالية للنص وبها تزداد فاعليتها.

ويقومُ الخطابُ الشعري لشهاب الدين التلعفري على الألوانِ غير الصريحة فيقول[٣٩]:

وَلَمَّـا رَمَـى بـاللّحظِ عَـن قَـوْسِ حَاجِـبِ إلـى قلـب صَـبٍّ لـو دَرَى إذَ رنـا احتَجَـبْ

رآهُ قتـــيلاً فاســـتطارَ مخافَـــةَ الـــ قِصـاصِ لكـونِ القَتـل عَمْـداً بـلا سَـبَبْ

وكـــان لُجينًـــا مُشـــرقِ اللّـــونِ فاغتـــدى وَقَـد تَرَكتْـهُ سَـطْوةُ الخَـوْفِ كالـذّهبْ

إنَّ عمليةَ اختيار الألوان وانتمائها ليست اعتباطية عند الشاعر بل هي عملية متعمدة تلبي رغباته وتُشبعُ حاجاته النفسية ، فيصفُ نظرات المرأة إليه كرمي القوسِ نحوه ، (لو درى بها لاحتجب) ، وفي البيتِ الأولِ تورية لطيفة : رمى باللحظ عن قوس حاجب مُشبهًا حاجب المرأة الجميل بالقوسِ ، وعندما ذكر (اللحظ) جعله عن قوس الحواجب ، والمعنى البعيد مثلٌ يضرب نسبة لأحد أسياد العرب[٤٠]، فنظراتها إليه أردتهُ قتيلاً بلا ذنب منه دون خوفها من عقابِ القتل العمد في أبهى صورة شعرية مبنية على اللون غير الصريح وقائمة عليه (وكان لجينًا) إذ حملتْ الصفة اللونية هنا قوة تأثيرية تُلبي رغبات الشاعر وسيطرتْ على حاستهِ وشعورهِ ، فيقعُ الشاعرُ تحتَ سيطرة اللون في هذا النص، فلونُ جسمه ووجه كانا أبيضين كلون الفضة ، مشعًا متوهجًا ، ثم اصفرَّ لونهُ من الخوفِ فصار بلون الذهب ، فالشوق والحنين قد فعلَ فعلتهُ به ومال بلونهِ إلى الاصفرار، ولكل إبداع شعري طريقة في تقبل النفس له ، ومن ثمّ ينجحُ النصُ باللونِ غير الصريح ويمنحهُ فعالية اكبر على الإثارةِ والتأثير، وكانَ النشاطُ النفسي للون هنا مهمًا للإبداع وتلبية لإشباع حاجة النفس والشعور باللذةِ على الرغم من الألمِ أو الرغبة في إفراغ الشحنات النفسية المكبوتة ، والشاعرُ باللونِ له (قفزات جمالية مؤثرة تحرك انساق القصيدة، وتستثيرها جماليًا) [٤١] وبذلك عبَر الشاعرُ باللونِ عن أحاسيس وعواطف ومشاعر في ذاتهِ ونفسهِ .

ويبقى اللونُ غير الصريح ذا فعالية تشكيلية وتعبيرية عنده ، إذ يقول[٤٢]:

زارنـــــــي واللّيـــــــل ألَيَـــــــلُ نـــــاعِسُ الأجفـــــانِ أكحَـــــلْ

أســـــــمَرٌ والجَفْـــــنُ مِنـــــهُ مِثـــــلُ بـــــيضِ الهِنـــــد يَفْعَـــــلُ

جـــــاء فـــــي فَتَـــــرةِ طـــــرفِ وَدُجَـــــى اللّيـــــلِ مُسَـــــدَّلْ

فضـــــلَنا بِظـــــلامِ الصُّـــــ ـــــدْغِ لَمَّـــــا راحَ مُرْسَـــــلْ

وَهَـــــدانا بَـــــرْقُ ثغـــــرٍ لاحَ مـــــن سِـــــمْطِ المُقّبـــــلْ

حـــــرَّم الشَّـــــرع وهـــــذا شَـــــرعُهُ والهَجـــــر حلّـــــلْ

سَـــــلَّ ســـــيف اللّحـــــظ ظُلمـــــاً وَحَمـــــى للظِلـــــم سَلْســـــلْ

إنَّ الشاعرَ لا يأتي باللونِ لذاتهِ أحيانًا ، وإنما لتأكيد الشيء المراد إيصالهُ ، ويتمتعُ اللون غير الصريح بقوةٍ رمزيةٍ كبيرةٍ لها كثافة إيحائية وحضور نفسي عميق فهو يقدمُ تشكيلات لا متناهية لرفد النص الشعري بآفاق فنية عميقة(٤٣)، فقد ذكَر الشاعرُ ألوانًا غير صريحة دلالة على عمقِ المعنى المراد إيصاله (الليل أليل) إذ يُعرف الليل هنا بظلامهِ وسوادهِ وشدة وطأته وثقله على النفسِ ولا سيما إذا كان طويلاً ، ويرتبطُ بالرهبةِ والخوفِ والخيال المزعج المرعب ، فالسواد والسمار هنا حدد ميول الشاعر وطباعه ومكنونات نفسه ، إذ أيقظتْ تلك الألوان الذكريات في ذهنِ الشاعر وصار الشعر وسيلة وجدانية للتنفيس وكان اللونُ أحد عناصره ، ثم عطف بـ (الليل المسدل) مرة أخرى فقد استعار (المسدل وهو الشعر الكثير الطويل) استعاره لليل دلالة على شدة سواده ، ويقال أرخى سدوله إذ أظلم ، فقد تاهوا بذلك الظلام المخيف الذي يشبهه بظلام (الصدغ) وسواده على الرغم من جماله ، ثم عاد يشبه الأسنان بالعقد المنظوم من الدُّر (سمط المقبل) وكأنها (الخيط / السمط) الذي ينتظم به الدُّر، وكان وصفه وصفًا مثاليًا واقعيًا يتخيله بفكرهِ وذاتهِ ، وشهاب الدين التلعفري بتوظيفه للون غير الصريح يرتفع به عن معناه المُطلق إلى معنى شاعري آخر يلبي رغباته ويشفي عواطفه ويشبع حاجاته النفسية ، وكان اللون الأداة المعبرة عن خفايا النفس الإنسانية / الشاعرة وخلجاتها واستحضار الشاعر للون له غاياته ودلالاته الكبرى وتوصيلاً لمعانيه نحو متلقيه ، فكان مرآة عاكسة للحالة الشعورية للشاعر ولذاتهِ الإنسانية .

ثالثًا: التَشْكيلُ اللّونيُّ للأَلْوانِ المُتداخِلةِ / تَمازُجُ الأَلْوانِ :

إنَّ تداخلَ الألوانِ وتكرارها يقدمُ للمتلقي دلالات ومفاتيح تأويلية تعينه في الكشفِ عن الجوانب الملحة في نفس الشاعرِ وإظهار وإبراز عالمه الشعري الخاص الذي يمكن الولوج إليه والتعرف على أسراره وخياله ، فتمازجُ الألوانِ وتداخلها ينتج طاقة متجددة وحيوية فعالة في النص الشعري، كما أنَّ تداخلها في النص له جماله الخاص وإشعاعه الفني، وانسجامها داخل العمل الشعري يمنحهُا بريقًا، فهي القوة الموجودة داخل النص لإبراز جماليتها، وتشابك الألوان وتداخلها مع بعضها البعض يسهمُ في بناءِ النص الشعري وإخراجه إلى المتلقي وكأنّها لوحةٌ مرسومةٌ أو منظرٌ من الطبيعة ، وإن الألوان الموظفة داخل النصوص الشعرية ذات رؤية شعورية نفسية داخلية ، ومن خلالها يفصّلُ الشاعرُ أحاسيسهُ وعواطفهُ وخواطره ، فالألوان المتداخلة فيها إشعاعٌ دلالي واسع، ولها خصائص ذاتية تؤثر على الشاعرِ ومن ثمّ على المتلقي ، فيبعثُ الشاعر الألوان للتأثير، فتكمن بؤرة الدلالة في الألوان، فتكونُ الألوان كالعنصرِ الفعَّال والحيوي في تكوين النص ووحدته، فالألوان تظهر وتكشف خبايا النفس، فنجده يقول في ذلك(٤٤):

كـــمْ مِـــنْ دمٍ هَـــدَرٍ بغيـــرِ جنايـــةِ ســـــفكتْهُ مقلـــــةُ قاتِـــــلِ مُتَعَّمـــــدِ

خُذْ جانباً عن وصلِ "سَلمى" في الهَوى تسـلم وجِـدْ عـن حـيَّ "سُـعدَ" تَسْـعدِ

وأستجلها مِنْ كفَّ ظامي الخصرِ معـ ـسُولِ اللّمى خَصِرِ المراشِف أغيدِ

شفقيّ خد أحمر صُبحيّ ثغـ ـرِ أبيضِ ليليّ خالٍ أسودِ

يسطو على عُشّاقِهِ مِنْ قَدِّهِ ولحاظِهِ بمثقّفٍ ومهنّدِ

قالتْ لنارِ صبابتي وجناتُهُ لكِ أسوتي لا تخمدي وتوقدي

حمراءُ عاصرِها قديمٌ عصرهُ بقيتُ على مرِّ الزَّمانِ السَّرمدِ

إنَّ التمازجَ والتداخل اللوني في هذا النص له تواجده المميز، إذ يدفعُ المتلقي للتفاعل معها لا إرادياً، فأرادَ بهذا النص التقرب من الممدوح / المرأة ، فالطمع في القرب منه ونيل رضاه أثار من الانفعال والتوتر في نفسهِ أكثر مما أثار شعوره بضرورةِ الوقار معه ، فالإبداعُ برسم الصورة الشعرية بالتداخل اللوني لا يتأتى إلا بوجود الباعث النفسي مكملاً لبقية عناصر الإبداع حتى يكتمل النص فيتسأل الشاعر مع نفسهِ كم هي مؤثرة وقاتلة تلك النظرات موظفًا (المقلة) التي تجمعُ بدورها بين (السواد و البياض) وتفعل فعلها بالتأثير ومن النظرات القاتلة (خذ جانبًا عن وصل سلمى) و (حد عن حي سعدى) جالبًا أسماءً تدل على الوقوعِ بالعشقِ والهوى ، فتتجلى براعة الشاعر في تصويرِ تلك اللحظات بحيوية وفعالية ؛ فيستحضره ليسكنّ القلب متخذًا من فعل الأمر (خذ) سلاحًا لذلك ، ثم يردفه بفعل أمر آخر (واستجلها) ليضيف صفات أخرى (ظامي الخصر) (معسول اللمى) (خصر المراشف) كونه بارد الثغر وهو مما يمدح به وتستطاب النفس له ، ثم يبدأ بوضع أركان النص معتمدًا على التداخلِ اللوني ليُكمل ما بدأه (شفقي خد أحمر) (صبحي ثغر أبيض) (ليلي خال أسود) جالبًا الدلالات الإيجابية لتلك الألوان كلما بقي قريبًا منها، فالنفسُ الإنسانية تتألف من مجموعة من القوى ، بدءً بالحواسِ التي هي طريق لمعرفة النفس بالأشياء المادية وتنتهي بالعقل ، فيكون بينهما الحس المشترك والقوة الوهمية والمتخيلة ، ثم تنشأ عن القوة المتخيلة قوة أخرى تأتمر بأوامرها وتسمى (القوة النزوعية) وهي الباعثة على التحريك الإبداعي للشاعر[٤٥]، الذي بدوره يوظف الألوان مجتمعة ليدرك المتلقي قوة الخيال عند الشاعر، فيغرف الشعر والإبداع من إيحاءات الألوان ودلالاتها لإنتاج غايته المطلوبة وبناء صوره الشعرية وتصوراته المتنوعة ، فتلك الأوصاف تهيمن على كل من يرى (مقصوده) وكأنما تسيطر على إنسان أعزل بدون سلاح وأنت تحمل سيفًا ورمحًا ؛ لكنه على الرغم من ذلك لا يُريد الابتعاد ، فتُوّلدُ الأفعال المكثفة في النص حركة دائمة عند المبدع / الشاعر والمتلقي تنتهي باللون (الأحمر) لتسكن النفس فيها ، فشعرية الألوان وتمازجها فيما بينها تنبثق من منظومة علاقات يحيل الشاعر مركزها باتجاه الطبيعة والتراث واللغة[٤٦](الشفق، الليل، النار) ثم يستجلي فعاليات وحدود المحاور الدلالية للون وجمالياته في خطابهِ الشعري ولا سيما مع تراكم تجاربه الشعرية وتنوع توظيفاته تجاه إبداعاته .

إنَّ قول الشعر والإبداع عند شهاب الدين التلعفري يُبعد الكلل والسأم عن نفسهِ المبدعة ، فنراه يقول مازجًا بين الألوان[٤٧]:

ياشَـيْبُ كَيْـفَ ومـا انقَضـى زَمَـنُ الصِّـبا عاجَلْـــتَ مِنّـــي اللّمـــة السَّـــوداءَ

لا تعجَلَـــنَّ فوالـــذي جَعَـــلَ الـــدُّجى فـــي لَيْـــلِ طُرَّتـــي البهـــيمِ ضـــياءَ

لـــو أنَّهـــا يَـــوْمَ الحِســـابِ صَـــحِفَتي مـــا سَـــرَّ قلبـــي كونُهـــا بَيضَـــاءَ

إنَّ النشاطَ النفسي والإشارة النفسية تختلف باختلاف الغرض الشعري والمناسبة والحالة الشعورية، ويبدو أن الشاعر أحسَّ بتقدم العمر وتقادم الزمن عليه ، فيأتي بالمجاز مناديًا (الشيب الأبيض) متسائلاً مع نفسهِ كيف تغير لون شعره (الأسود)، فالرؤية البصرية / الحسية للألوان عنده هي مصدر إبداعه وإلهامه ، فكانت للألوان صبغات نفسية متعددة فقد عبرت ذاته عن بواطنه ، مُظهرًا عواطفه بكل أبعادها طالبًا من الزمنِ التوقف ليزداد حظًا ساطعًا كما يبدو (الضياء / الأبيض) في (الليل البهيم / الشديد السواد) فكانت دلالات اللون الأبيض والضياء الساطع منشطة لذهنه وملبية لرغباته ، واندماج الألوان مع بعضها البعض له تأثير سيكولوجي على المتلقي ، ثم ينتج عن ذلك التأثر العديد من الأحاسيس ، كالاطمئنان والراحة والفرح والسعادة عند الليل البهيم أو القلق والإرهاق والحزن والكآبة عند الضياء والصباح ، وهي مرتبطة بالحالة النفسية أشد الارتباط ، فيؤدي تداخل تلك الألوان دورًا مهمًا في إظهارِ جمالية النص الشعري كما أنَها تنتج ردود أفعال غير إرادية تؤثر على الحالة النفسية والمزاجية لدى المتلقي ، فحركيةُ الألوان مرة بالأبيض / الشيب ومرة بالأسود / الليل البهيم ومرة بالضياء الأبيض كانت نتيجة لتغير مزاج الشاعر وتقلب حالته، وعندما (يقرأ المتلقي الصورة الشعرية اللونية فإنه يعيد تشكيلها وفق رؤاه ثقافته وطبيعة فكره ، فيحصل على تشكيل فني لصورة لونية جديدة تتفق مع مشاعرهِ كما اتفقت مع مشاعر الشاعر / الناظم) [٤٨] الذي يُظهرُ بتداخل تلك الألوان خفايا نفسه ويترجم بها أحاسيسه ، وخياله الشعري فهو الذي اختار تلك الألوان في إبداعه كي تتقبله النفس قبولاً جماليًا .

إنَّ القيمةَ اللونية تكمن في تداخلِ الألوان وتمازجها، واللونُ يخطف الخيال والبصر، ويحركُ العاطفة ، ويستثير المشاعر والأحاسيس، يقول [٤٩] :

أيُّ سَـــــهمٍ مِـــــنْ مقلـــــةِ نجـــــلاءِ أثبَتْـــــهُ الألحـــــاظُ فـــــي الأحشـــــاءِ

وخـــــدودٍ لـــــو لـــــمْ تُـــــنقّط بخـــــالٍ قلـــــتُ: كالجُلّنـــــارة الحمـــــراءِ

وقـــــــــــوامٍ إذا تثنّـــــــــــى دلالاً قلـــــتُ: كالسَّـــــمهَّريةِ السَّـــــمراءِ

وانعطـــــافٍ بغيـــــرِ عطـــــفٍ وميـــــلٍ فيـــــه ميـــــلٌ علـــــى ذوي البُرحـــــاءِ

ويَلَـــح أهـــلِ الهـــوى إلـــى كـــم يُقاسُـــو ن مِـــنَ الوَجْـــدِ والضَّـــنى والعَنـــاءِ

لـــيسَ يخلُـــون مَـــنْ رقيـــبٍ وواشٍ وعـــــذولٍ يزيـــــدُ فـــــي الغَلَـــــواءِ

لقد عبر الشاعرُ باللونِ بوصفه لغة رمزية عن مشاعرهِ وأحاسيسهِ ، فالألوانُ في النص تقوم بالجمع بين المتناقضات ، ويسهمُ في إمداد الشعرية بشحنات وطاقات لا حصر لها فتعمل على صدم القارئ ومفاجأته بصورٍ مختلفة ومتنوعة واصفًا المرأة بصورة متعددة مستعينًا بالمزج بين الألوان لتخرج صورته الشعرية مبنية على اللون ، فيتسأل عن تلك النظرات الصادرة عنها، فهي توقظ المشاعر والأحاسيس ، وخدودها المزينة بـ (الخال) كأنها زهر الرمان الشديد الحمرة ، فطيف المرأة الزائر عنده ليس له مثيل ، فينزاح اللون عنده هنا ويخرج إلى غير معناه المعروف والمتداول (وقوام كالسمهرية السمراء) مُشبهًا قوامها بالرمح الصلب الشديد المعتدل الأسمر ، فالإدراك الجمالي للمزج بين الألوان يؤدي إلى تحسسِ المد الجمالي للنص الشعري كله من حيث فاعليته وإيحاؤه ، وعلى هذا فإن الإدراك الجمالي هو ثمرة الإبداع الحقيقي ، وهو تأثر بالموقف الشعوري للشاعر(٥٠)، فألوانهُ الموظفة صراحة أو إيحاءً (الخال، الجلنارة الحمراء، السمهرية السمراء) أوجدت الجاذبية الجمالية لهذا النص الشعري، فبث الشاعر بتلك الألوان إثارته الجمالية ، والرؤية اللونية عند الشاعر ليست وليدة اللحظة بينما هي خيال متجذر في فكرهِ وذهنهِ تستطيع تحريك القدرة البصرية للمتلقي ثم يشكو تلك القسوة المضنية لأهل الهوى وهم يعانون من شدة الوجد والشوق ، بشكوى تبعث على الألم والسهر والحزن وتبعث السأم في النفس وتعبر عن همومه فتخرج صيحاته شعرًا ، فكانتْ تأثيراث الألوان تتغير بتغير الحالة النفسية والمزاجية للشاعر والمتلقي يراها كل منهما حسب مزاجه واستقراره النفسي .

ويبقى للخيال الشعري القدرة على الجمعِ بين الألوان في لوحاتٍ شعريةٍ متماسكة ومنسجمة، يقول شهاب الدين التلعفري(٥١):

هِـيَ الـدَّارُ فَـالَثْمْ مِـنْ مواطِنِهـا الثَّـرى تَجِـد تُربَهـا مِسـكاً لِـدى الّـثمِ أذْفَـرا

ديـارٌ متـى مَـرَّتِ بهـا نَفحَـةُ الصَّـبا أثـــارَتْ عَبيـــراً مِـــنْ ثَراهـــا وعَنْبَـــرا

تجنّبهـــا الســـربُ الســـنُوحُ وطالمـــا عهِـدْتُ بهـا ظَبْيـاً سـنوحاً وجْـؤذَرا

يُجـــدِّدُ لـــي فيهـــا الغَـــرامَ مواقِـــفٌ حَمِدتُ إليها فـي الهَوى السَّير والسُّرى

وكـــم ليلـــة قضّـــيتُها فـــي ربوعِهـــا لطيـبِ التَّـداني مـا عرفْـتُ بِهـا الكَـرَى

أراقِـــبُ فـــي ظلمائِهـــا البْـــدرَ طالِعـــاً وأهِصـــرُ فيهـــا الغُصْـــنَ ريَّـــان أخَضـــرا

واجنـــي جِنّـــي الـــوردِ فـــي وردِ ريقـــةٍ تـــراءى لمِخْضـــرّ السَّـــوالِفِ أحمَـــرا

وأرشـــفُ فـــي مِثـــلِ العقيـــقِ سُـــلافة وألْـــثُم شِـــبهَ الأقحـــوانِ مُنَـــوَّرا

ســـقى اللّهُ هاتِيـــكَ الـــدِّيار سَـــحائِباً مِـــن الصَّـــيبِ الهتَّـــانِ مفصـــومَة العُـــرا

وأمـــرَعَ مِنْهـــا الـــرَّوضُ حَتَّـــى تـــرى لهـــا نســـيماً كأنفـــاس المـــلاب مُعطّـــرا

إنَّ تمازجَ الألوان وتداخلها يساعد الشاعر على إبرازِ الصورة الشعرية المبتغاة ، فالتداخل اللوني (يمثل للشاعر الملتقى الذي تموج فيه المتباعدات وتتوالد لينتج عنها توالد خضب، وزخم غزير من المشاعر المتواترة والمتعاكسة) [٥٢] ومن ثمّ تُحركَّ المشاعر وتوقظ الأحاسيس وتُبنى الصورة ، فيبكي الشاعر بدايةً على الأطلالِ ، ويذكر ترابها ورائحتها الممزوجة بالمسك الأذفر / القوي الرائحة ، فهي الديار التي تبعثُ الأمل والطمأنينة في النفوسِ وتفوح منها رائحة العبير دومًا، ثم يتذكر لياليه التي قضاها فيها كم هي طيبة ولم يعرف فيها التعب والمشقة (لطيبِ التَّداني ما عرفتُ بها الكَرَى) وهو ينظر إلى البدرِ في تلك الليالي المظلمة فينجذب إليها ويميل مع أشجارها وغصونها (ريان أخضرا) التي تبعث الراحة والقبول ، مستعينًا بالطبيعة لإغناء معجمه الشعري وهو يجني الورود الحُمر من تلك الأغصان الخضراء ، ويبدو أن التوتر النفسي والحالة الشعورية عند الشاعر كانا متزنين ؛ لذا وظف تلك الألوان لتنسجم مع حالتهِ النفسية فتنساب عاطفته مع إبداعه الشعري وتكون ذبذبات حركته الشعورية منسجمة مع متلقيه ، فيدعو لتلك الديار بالسقيا الواسعة الانتشار (مفصومة العرى) كي تبقى مزدهرة ومعطاء دومًا (سقى الله ...) وتبقى تفوح منها رائحة الزعفران والورد (كأنفاس الملاب) فتبقى أجواؤها مريحة للنفوس، مهدئة للمشاعر والأحاسيس ، وهنا وصل الوعي اللوني المتداخل عند الشاعر إلى ذروتهِ ، فيتفاعل التشكيل اللوني المتداخل وينصهر مع ذاتهِ لتصنع صورة شعرية كأنما يراها المتلقي أمامه ، فعبر بتلك الألوان (الأخضر، الأحمر، الأقحوان منورا) عمَّا موجود في عقله الباطن ووجدانه وهو يحنُّ إلى الديارِ حنين المشتاق الملتهب فكانت الألوان أهم العناصر لجمال القصيدة وبها تداخلت روح الشاعر مع محتوى النص لتعطيها تلك الخميرة القادرة على الإنضاج على جمرة التوتر الداخلي الذي يعكس على مرآة ذات المتلقي لتحدث عنده (الصدمة الجمالية)[٥٣]، فالشعور اللوني وتداخله في النص الواحد هاجس ذاتي عميق استحوذ على نفس الشاعر وغذاها فانفعلت بها وتحرك خياله ؛ لأن الألوان لها إيحاءات ومعانٍ وهي الجمال نفسه ، وبدونه لن تبقى للطبيعة أو النص الشعري أية لذة أو جمالية .

إنَّ فهم التشكيل اللوني والمتداخل في الشعرِ مرتبط بتجارب الشاعر، والقيمة الجمالية والدلالية للألوان تنبع من خبراته وتجاربه في الحياة ، يقول [٥٤]:

خلِّنـــي مِـــنْ حـــديثِ زيـــدٍ وعمـــرِو واســـعَ بـــي يـــا نـــديمُ نحـــو الغُمـــرِ

واســـــقِني قهـــــوة إذا مـــــا تبـــــدَّتْ فـــي الـــدُّجى خِلتُهـــا عمُـــود الفجـــرِ

بنـــتُ كـــرمٍ مـــالي إذا بِـــتُّ مِنْهـــا صـــاحياً فـــرْدَ ليلـــةٍ مِـــنْ عُـــذْرِ

فـــأدرِ لـــي فـــي جامِـــدِ الفضَّـــةِ البيـــ ضـــاءِ مِـــنْ كأسِـــها مُـــذابَ التِّبـــرِ

ثـــمَّ قُـــل للـــذي يلـــومُ عليهـــا: خلّنـــــي أيُّهـــــا العـــــذولُ ووزري

أ إذا كُنـــــتُ ذا ضـــــلالٍ وإثـــــم تغتـــدي أنـــتَ نائِمـــاً فـــي قبـــري؟

هناكَ بعضُ الألوان التي تخاطب عقل الشاعر شهاب الدين التلعفري مباشرة ودمجها مع بعضها البعض يعطينا دلالات جمالية متنوعة ، وتُعد الألوان (من أغنى الرموز اللغوية التي توسع مدى الرؤيا في الصورة الشعرية وتساعد على تشكيل أطرافها بما تحمله من طاقات متنوعة وبما تحدثه من إثارات حسية وانفعالات نفسية في المتلقي) [٥٥] فيدعو في نصهِ الشعري إلى تركِ أحاديث السهر ليتجه نحو الشرب والكأس متناسيًا كل ما يوقظ مواجعه ، مشبهًا (الخمر) بعمود الفجر يشق طريقه ونوره في الليلِ ، وهو لا يشبه غيره في شربه لأنه لا يفقد عقله بها بل بالعكس يصحو بها ويطلب الشرب في (الفضة البيضاء) وكأنها مصنوعة من الذهبِ المُذاب (مذاب التبر) جامعًا بين اللونين (الأبيض والأصفر)، ففكرة تداخل الألوان تضرب بعمق عند خيال الشاعر لتعزيز مدلوله الشعري ولإنتاج حالة شعرية فريدة ومميزة عنده ، ومن ثم يسقطه على خيال قارئ النص ، وبعد ذلك ينتقل إلى دمج ما يوحي إلى الأماكنِ المظلمة التي توحي بدورها إلى الظلامِ والسواد، فيذكر (القبر) فكانت لهذه اللفظة بُعد نفسي كبير عند الشاعر والمتلقي ولها وقع أثير، واختيارها وتوظيفها له أثره الفعّال في القيمة الشعرية أولاً، واللونية ثانيًا ؛ كونها تدل على الظلام وتحيل إلى السواد ، فكان للتداخل اللوني وتنوعه دورٌ في إبراز خفايا النفس الشاعرة وصلتها الوطيدة بالحالة النفسية للإنسان / الشاعر والمتلقي وبحالاتهم الوجدانية في النص الشعري (بنت كرم ، قهوة ، الدجى ، عمود الضجر) ؛ لذا فالدلالات الرمزية للألوان المتداخلة المذكورة كثيرة ومتنوعة وظفها شهاب الدين التلعفري في نصهِ ليصيغ منها صورًا شعرية يبتغي إيصالها للمتلقي وينتقي الجانب الإيجابي لبعض ألفاظه كـ (الليل) لتمنحهُ طاقة على التحملِ والصبر، وذكره لـ (الفضة البيضاء) ليبعث الطمأنينة والهدوء في تلك النفوس الملتاعة وليتجرد من زيف مشاعره ، وتحولت تلك الألوان المتداخلة من التصور المادي إلى التصور النفسي في الخطاب الشعري بسبب حاجة الشاعر إليها في نفسهِ وإدراكه .

خاتمة البحث ونتائجه :

إنَّ الجمالَ اللوني وتشكيلاته في نص شهاب الدين التلعفري كان وراءهُ الكثير من التوهجات الإبداعية والثراء الشعري ، فاللونُ عنده يُعد خميرة مناسبة للإبداع ، واللون في الخطابِ الشعري يوظفهُ لتوصيل الإيحاءات الجمالية إلى المتلقي للإقناع والإثارة ، وتشير إلى الغائبِ من المعاني فضلاً عن متعتِها في إشباع نفسية المتلقي ، فباللون ينقل الشاعر المجرد المعنوي إلى المادي المحسوس ويزيد بها تركيز المتلقي ويخاطب حاسته البصرية التي هي أكثر تأثيرًا للذهن والإدراك ، وكانت للقوة الإيحائية للون دور كبير لمساعدة الشاعر بنقل أحاسيسه ومشاعره إلى المتلقي ، ومن ثم تثير انفعالاته ليشارك الشاعر بكل أحاسيسه .

ويبقى اللون مثيرًا انفعاليًا وتشكيليًّا داخل النص الشعري ؛ لأنه إحساس شعري يوظفهُ الشاعر داخل نصه للتعبير عن حالة معينة يحس بها ويبتغي رسمها كصورة تشكيلية أمام المتلقي، فاللون إحساس وانطباع

وهو مرآة عاكسة لذات الشاعر وقد رفد شهاب الدين التلعفري بدلالات كثيرة ومتنوعة وهو يحمل قدرات ذاتية تأثيرية على عواطف النفس البشرية وانفعالاته ، وفيها من الإيحاء ما يؤثر على طبيعةِ التصرف الإنساني وهو يكشف عن شخصية المبدع / الشاعر.

وبعد جولتنا الجمالية التشكيلية الفنية بين النصوص اللونية لشهاب الدين التلعفري ثبت كون اللون جزءًا من الأحاسيس والمشاعر والعواطف ، فكان للمفردة اللونية تأثيرٌ كبيرٌ على العملية الإبداعية وتشكيل المعنى ، وبناء الدلالة ، فعبر الشاعر باللونِ عن كميةِ المشاعر ونوعها في صوره ، ورسم بالكلمات لوحات فنية جمالية تعبر عن الحالةِ الوجدانيةِ والشعوريةِ ، وباللونِ كشف عن دقائق المعنى وجزئياته ، فكان لها تأثير كبير على النبض الشعري ، وبها يستحضر شهاب الدين التلعفري الذكريات الدفينة ، كما اعتمد اللون كوسيلة لتجميل النص الشعري والتأثير على المتلقي وإشراكه معه .

الهوامش :

(١) **تنظر أخباره وترجمته في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمن، شمس الدين بن خلكان (ت ٦٨١ه)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ج٤ ص٤٠٤ ، والوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي (ت ٧٦٤ه)، تحقيق عدد من الباحثين، ألمانيا، ١٩٦٢م، ج٥ ص٢٥٥ ، والأعلام ، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م، ج٧ ص١٥١، وديوان التلعفري، حققه وقدم له د. رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط٢، ٢٠٠٤ ص١١-٢٦ .**

(٢) ينظر: اللون ودلالاته في الشعر الفلسطيني المقاوم، عاطي عبيات ومحمود شكيب الأنصاري ، مجلة الخليل للبحوث، ٢٠١٣م، المجلد ٨، العدد١، ص ٤٧.

(٣) اللون ودلالاته في الشعر الفلسطيني المقاوم/ ص٤٨.

(٤) ينظر: المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٦م، ص٨٣.

(٥) شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر، صديقة معمر، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. يحيى الشيخ صالح، جامعة منتوري، قسنطينة ، كلية الآداب واللغات، (١٩٨٨م-٢٠٠٧م) ص٣٨.

(٦) ينظر: دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب ، ديوان (أنشودة المطر نموذجاً)، عبد الباسط محمد الزيود ، ظاهر محمد الزواهرة ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠١٤م، مج ٤١/ع ٢/ص٥٨٩.

(٧) ينظر: شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر / ص٣٨.

(٨) الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م، ص١٣٠.

(٩) الصورة الشعرية والرمز اللوني، يوسف حسن نوفل، دار المعارف، القاهرة، ط١، د.تـ ص٤١.

(١٠) ينظر: مرايا التخييل الشعري، محمد صابر عبيد، جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمان-الأردن، ٢٠٠٦م، ص٢٢٤.

(١١) ينظر: مرايا التخييل الشعري/ ص٢٢٣.

(١٢) اللون ودلالاته في الشعر (الشعر الأردني نموذجاً) ظاهر محمد هزاع الزواهرة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٣.

(١٣) ينظر: جماليات اللون في القصيدة العربية ، محمد حافظ ذياب ، مجلة فصول ، القاهرة - مصر، يناير، فبراير، مايس، ١٩٨٥م، مج١٥، ع٢، ص٤١.

(١٤) ينظر: التوظيف الفنّي للون في الشعر العربي، السَّري الرَّفاء نموذجًا ، د. حمد محمد فتحي الجبوري ، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٧ه-٢٠١٦م، ص١٩.

(١٥) الفيض الفنّي في سيميائية الألوان عند نزار قباني (دراسة سيميائية / لغوية في قصائد من الأعمال الشعرية الكاملة)، د. ابن حُوَيْلي الأخضر ميدْني ، مجلة جامعة دمشق / ٢٠٠٥م، مج٢١، العدد٣-٤ ، ص١١٤.

(١٦) للإفادة ينظر : الألوان في شعر شهاب الدين التلعفري ، د. مروعي إبراهيم موسى المحائلي ، مجلة صوت الجامعة / الجامعة الإسلامية ، لبنان ، العدد ١٢ ، ١٤٤٠ ه / ٢٠١٨ م ص ١٧٤ - ١٨٧.

(١٧) ينظر: اللون، محمد يوسف همام ، مط الاعتماد ، مصر، ط١، ١٩٣٠م ، ص١.

(١٨) الديوان / ص١٤٠.

(١٩) الديوان / ص١٨٠.

(٢٠) جمالية اللون في الشعر الأندلسي – ابن سهل الأندلسي أنموذجًا – وسيلة رحالي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، بإشراف أ.د. فاتح حمبلي، ١٤٣٥-١٤٣٦ه، ٢٠١٤-٢٠١٥م، ص١٤.

(٢١) الديوان / ص١٨٣.

(٢٢) شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر / ص٧٤.

(٢٣) الديوان / ص٢٠٢.

(٢٤) البقرة / آية ١٠٢.

(٢٥) الديوان / ص٢٨٨.

(٢٦) الصورة الشعرية والرمز اللوني، يوسف حسن نوفل، دار المعارف، القاهرة، ط١، د.ت، ص٤١.

(٢٧) الديوان / ص٥٥٥.

(٢٨) ينظر: الرديف اللوني في شعر احمد توفيق (الأعمال الشعرية) د. هدى الصحناوي ، والباحثة بشرى هيثم فهد، مجلة جامعة البصرة، العدد٧٥، السنة ٢٠١٥م، ص٩٩.

(٢٩) اللون لعبة سيميائية، فاتن عبد الجبار جواد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٩٥.

(٣٠) ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط١، المغرب، ١٩٨٦م، ص١٢٨.
(٣١) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، د. صالح ملا عزيز، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠١٠م، ص١٨٢.
(٣٢) اللون لعبة سيميائية / ص١٩٥.
(٣٣) الديوان / ص٨٩.
(٣٤) الديوان / ص١٩٩.
(٣٥) ينظر: المرأة (الواقعُ والمثالُ) قراءة في شعر شهاب الدين التلعفري (ت ٦٧٥ه / ١٢٨٧م)، أ.م.د. شريف بشير احمد، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ربيع الثاني ١٤٣١ه / آذار ٢٠١٠م، المجلد ٩، العدد ٢، ص٢٣٩.
(٣٦) الديوان / ص٢٦٧.
(٣٧) ينظر: جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني / ص٥٠.
(٣٨) الفكر الجمالي عند شعراء الحداثة المحاصرين، د. عصام شرتح ، عمان – دار آمنة، ٢٠١٨م، ص٣٥.
(٣٩) الديوان / ص٤٠٧.
(٤٠) ينظر: ديوان التلعفري / ص٤٠٧.
(٤١) الفكر الجمالي عند شعراء الحداثة، ص٣٨.
(٤٢) الديوان / ص٤١٢.
(٤٣) ينظر: اللون في شعر طاهر زمخشري ، مزنة بنت محمد إبراهيم البطي ، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة القصيم ، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، إشراف د. إبراهيم عبد العزيز، ١٤٣٨-١٤٣٩ه، ٢٠١٧/٢٠١٨م، ص١٤٨.
(٤٤) الديوان / ص٩٤.
(٤٥) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، وزارة الأوقاف العراقية، ط١، ١٤٠٤ه-١٩٨٤م، ص١٣.
(٤٦) ينظر: جماليات اللون في القصيدة العربية ، ص٤١.
(٤٧) الديوان / ص١٣٤.
(٤٨) اللون في الشعر الأندلسي ، عبير فايز حمادة الكوسا، رسالة ماجستير، جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بإشراف أ.د: فيروز الموسى، ١٤٢٧-١٤٢٨ه / ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص٤٨.
(٤٩) الديوان / ص٢٧٤.
(٥٠) ينظر: الفكر الجمالي عن شعراء الحداثة المعاصرين / ص٦٤.
(٥١) الديوان / ص ٣٩٠.
(٥٢) اللون في الشعر الأندلسي / ص٣١٥.
(٥٣) الفكر الجمالي عند شعراء الحداثة / ص٧٤.
(٥٤) الديوان / ص ٣٩٠.
(٥٥) اللون ودلالاته في الشعر (الشعر الأردني نموذجاً) ، ص١٨.

Proved the references and sources

1- The psychological foundations of Arabic rhetoric - D. Majeed Abd AlHameed Naji - Iraq Ministry of Endowments (T1 1404H. 1984 B).
2- Standards – khair Al.Deem Al-zarkli. Dar Al-Ilm Lilmalayeen Bairut (T5 1980B).
3- In shihab Al-Deen Al-Talafari. D. Marei Ibrahim Musa Al- Mahaili. Saut Al-jamiaa Magazine, the Islamic university. Lebanon 1440H. 2018B.
4- The structure of the poetic language. Jan Kahin Translate Mohammed Alwali and Mahamed Al-Umari Dar TOEFEL For publication. Moroco (T1 1986B).
5- The Artistic recruitment of the language in Arabic poetry- Alsiri Alrafaa as a form. D. Hamad Mohamed Fathi Al-Juburi. Dar Gaidaa for publishing and distribution (T1 1437H. 2016B).

6- The aesthitics of in Andalusian poetry. Ibn Sahl Al-Andalusi as a form wasilat Rahali Mics in Baster degree. Superrised by M.D Fatih Jameel. Collage of Arts and languages. The Arabic literature and language Dep. University of Al-Aarabi Bin Mhedi. Algeria 1435-1436H- 2015-2015.
7- The aesthetics of the psychological reference in the Quranic discourse. D. Salih Mala Aziz Dar Alzaman for printing-publishing and distributing.
8- The asthitis of Colour in the Arabic poem. Mohamed Hafiz thyab. Fusool Magazine. Jan. and May 1985.
9- Colour semantics in Badir Shakir Al-sayab (ode of rain divan as a form. Abd AlBasit Mohamed Alzyood and Dhahir Mohamed Al-zwahrah, Humanities and social sciences studies Magazine 2014).
10- Diwan Al-Talaafari. Fruition and proffered by D.Ridha Rajab. Dar Al-yanabii. Damascus T2 2004.
11- Colour repertoire in Ahmed Taufeeq poetry (poetic works) D. Huda Alsahnawi and the researcher Bushra Haytham Fahad Al-Basrah University Magazine.2015.
12- The contemporary Arabic poetry (issues andtechnical and moral phenomena- Ezz Ai-Deen Esmael. Dar Al-Fikr Al-Arabi. Cairo T3 1966).
13- Poetry of colours in contemporary Algerian poetic text. Siddiqa Muamar M.A degree. Supervised by M.D yahya Al-Shaikh Salih. University of Mintory Costantine. Collage of Arts and Languages 1988-2007.
14- Poetic image and the colour symbal. Yousit 14 poetic image and the colour symbal. Yousif Hassan Naufal. Dar Al-Maarif Cairo. T1 D.Th.
15- Aesthetic thought of contemporary modernistpoets. D. Isam shartan. Amman Dar Aamina 2018.
16- The Artistic fiood in the colour semiotics for Nazar Kabani (semiotic-linguistic stndy in poems of Complet poetic works D. Ibn Hwili Al-Akhdher Midni Damascus University magazine 2005).
17- Colour. Mahamed Yousif Humam Al-Iitimad printer Egypt T1. 1930.
18- Colour in the Andalnsian poetry. Abeer Fayiz Hamada Al-Kousa. M.Adigree. superrised by M.D. Fairouz Al.Musa. University of Al-Baath. Collage of Arts and Humanities 1427-1428- 2006-2007
19- Colour in the poetry of Tahir Zamakshari- Mizna Bint Mohamed Ibrahim Al-Biti. M.A digree. Supervised by D. Ibrahim Abd AlAziz. Saudia Arabia kingdom University of Al- Qaseem. Collage of Arabic and social studies 1438-1439. 2018-2019.
20- Colour is a semiotic game. Fatin Abd Al.Jabbar Jawad. Dar Majdalawi for publishing and distributing Amman (T1. 2009).
21- Colour and its semantics in poetry (Jordanian poetry as a form . Tahir Mohamed Hazzaa Al.Zuahrah. Dar Al-Hamid for publishing and distributing. Amman. Jordan T1 2008).
22- Colour and its semiotics in the cenflect palastanian poerty Aati Ubayat and Aahmood Shakeed. Al-Ansari Al-Khalel magazine for researches 2013.
23- Woman (Reality and Example) Reading in the poetry of Shihab Al-Deen Al-Talaafari (675H- 1287B)M.D. Sharif Bashir Ahmed. Faculty of Basic Education research magazine. University of Mosul 1nd spring 1431- March 2010.
24- Poetic imagination mirrors. Mohamed Sabir Ubaid the wall of the world books. Amman- Jordan 2006.

25- Functional dictionary of grammatical measures. Abd – qadir Abd Al-Jaleel Dar Safa for publishing and disterbution. Amman. T1 1426-2006.
26- Al wafi bilwafiyat. Salah Addin Bin Aabik Al-Safadi 764H. fruition with many researcher in Germany 1962.
27- Wafyat Al-aayan. Waanbaa Al-Zaman. Shams Al-Deen Bin Khalkan 681H fruition by D.Ihsan Abbas. Dar Sadir. Bairut 1978.